

أدوات الإعلام الجديد وتأثيرها على العلاقات الأسرية
New media tools and their impact on family relationships

د/عبيدة صبطي¹، د/فتحي زقعار²

¹ جامعة بسكرة، الجزائر Mail : abida.sabti@univ-biskra.dz

² جامعة الجزائر 2 Mail : zegarfathi@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2018/03/29

تاريخ الاستلام: 2018/03/15

Mail : abida.sabti@univ-biskra.dz

المؤلف المرسل: عبيدة صبطي،

الملخص:

مما لا شك فيه أن العلاقات الأسرية قد تأثرت بطريقة ما بالتطورات الهائلة المتتالية التي حدثت في المجتمعات في ظل العولمة خاصة فيما يتعلق بتكنولوجيا المعلومات وتقنية الانترنت وما أفرزته من مواقع وخاصة شبكات التواصل الاجتماعي، التي عملت بنجاح على تذليل الصعاب والمسافات للربط بين الأفراد سواء على المستوى المحلي، أو العربي، أو العالمي، بل وأصبحت مكانا خصبا لإنشاء العديد من العلاقات. وهو ما يهيئ الفرصة لتغيرات قد تكون جذرية في المجالين المادي والمعنوي الذي تتخذه وتشكل في إطاره مختلف نماذج العلاقات الاجتماعية .

وعليه انطلقت هذه الورقة البحثية للتعرف على واقع العلاقات الأسرية في ظل أدوات الإعلام الجديد مع بيان مخاطرها المستترة، مع توصيات ومقترحات للاستفادة الايجابية من هذه التقنية، لا إغفالها أو محاربتها، لتحقيق الترابط الاجتماعي المنشود.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الأسرية؛ الشبكات الاجتماعية.

Abstract:

There is no doubt that family relations have been affected in some way by the tremendous successive developments that have taken place in societies in light of globalization, especially with regard to information technology and Internet technology and the resulting sites, especially social networks, which have worked successfully to overcome the difficulties and distances to connect between individuals, whether at the level Local, Arab, or global, and even became a fertile place for establishing many relationships. This creates the opportunity for changes that may be radical in the physical and moral realms, which they take and form within their framework the various models of social relations.

Accordingly, this research paper was launched to identify the reality of family relations in light of the new media tools with an indication of their hidden dangers, with recommendations and proposals for positive use of this technology, not neglecting or fighting it, to achieve the desired social cohesion.

Keywords: family relations; social networks.

مقدمة:

يمثل الكيان الأسري السوي الوحدة الاجتماعية الأساسية في المجتمع، وكلما كانت العلاقات الأسرية والتماسك الأسري بين أعضاء الأسرة قويا وسويا كلما كانت الأسرة سليمة وكان الجو الأسري ملائما لتكيف الأطفال وسلامة نموهم العاطفي والنفسي، وأي صدام يقع بين الأبوين يشعر به الطفل حتى ولو لم يحدث أمامه مما يفقده الشعور بالانتماء والانفعالي، فيصبح الطفل متقلب في انفعالاته، وهذا ما تؤكدته الدراسات.

حيث أثبتت النتائج أن الأسرة المترابطة تحقق قدرا أكبر من الأمان الأسري لأبنائها مما ينعكس إيجابيا على تمتعهم بالسلامة النفسية، كما أن ذلك يدفعهم إلى الانطلاق للحياة خارج الأسرة والتفاعل مع المجتمع بشكل إيجابي.

ومما لا شك فيه أن العلاقات الأسرية قد تأثرت بطريقة ما بالتطورات الهائلة المتتالية التي حدثت في المجتمعات في ظل العولمة خاصة فيما يتعلق بتكنولوجيا المعلومات وتقنية الانترنت وما أفرزته من مواقع وخاصة شبكات التواصل الاجتماعي، التي عملت بنجاح على تذليل الصعاب والمسافات للربط بين الأفراد سواء على المستوى المحلي، أو العربي، أو العالمي، بل وأصبحت مكانا خصبا لإنشاء العديد من العلاقات. وهو ما يهيئ الفرصة لتغيرات قد تكون جذرية في المجالين المادي والمعنوي الذي تتخذة وتشكل في إطاره مختلف نماذج العلاقات الاجتماعية .

وعليه انطلقت هذه الورقة البحثية للتعرف على واقع العلاقات الأسرية في ظل أدوات الإعلام الجديد مع بيان مخاطرها المستترة، مع توصيات ومقترحات للاستفادة الايجابية من هذه التقنية، لا إغفالها أو محاربتها، لتحقيق الترابط الاجتماعي المنشود.

1. تحديد المفاهيم

1.1 مفهوم العلاقات الأسرية

جاء في مختار الصحاح(ع ل ق) ، العلق: الدم الغليظ والقطعة منه علقه، والعلقة أيضا دودة في الماء تمص الدم، والجمع علق، وعلقت المرأة حبلت، وعلق الطي في الحباله وعلقت الدابة إذا شربت الماء فعلقت بها العلقه، وباب الكل طرب، وعلق به بالكسر علوقا أي تعلق، وعلق يفعل كذا مثل طفق، والعلق بالكسر النفيس من كل شيء وجمعه أعلق وفي الحديث أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة بضم اللام أي تتناول، والمعلق والمعلوق ما علق به من لحم أو عنب ونحوه، وكل شيء علق به شيء فهو معلقة، والعلاقة بالفتح علاقة الخصومة، والعلق بوزن القبيط نبت يتعلق بالشجر وعلق أظفاره في الشيء انشبهها، والإعلاق أيضا إرسال العلق على الموضع ليمص الدم وعلق الشيء تعليقاً واعتلقه أحبه والمعلقة من النساء التي فقد زوجها قال تعالى (فتذروها كالمعلقة)، وتعلقه وتعلق به بمعنى وتعلقه أيضا بمعنى علقه تعليقاً⁽¹⁾.

بناء على ما تقدم فإن مفهوم العلاقات يدور حول الاتصال والالتصاق والاشتباك والارتباط، وهي من المفاهيم التي تقتضي المفاعلة فلا بد لوجود مصلحة تربط بين اثنين فأكثر تخدمهم أو تخدم أحدهم على الأقل لإنشاء علاقة فيما بينهم.

وفي ضوء ذلك يمكن تعريف العلاقات الأسرية بأنها العلاقات الوثيقة التي تنشأ بين الأفراد الذين يعيشون معاً لمدة طويلة، وتقوم على الالتزام بالحقوق الواجبات مما يؤدي إلى شعور بالتماسك والصلابة⁽²⁾ هذا ويمكن تعريفها على أنها العلاقات التي تجمع بين مجموعة من الأفراد الذين تربطهم رابطة الدم والقرابة، وهي تبدأ بالزوجين لتتسع وتمتد فتشمل الأولاد وأقارب الزوج والزوجة⁽³⁾.

وعليه تصبح العلاقات الأسرية على أنها التفاعل المتبادل الذي يستمر فترة طويلة من الزمن بين أعضاء الأسرة من خلال الاتصال وتبادل الحقوق والواجبات. وهي تنقسم إلى نوعين⁽⁴⁾:

أ. العلاقات الأسرية الداخلية:

وتشمل كلا مما يلي:

- ✓ العلاقة بين الزوج والزوجة.
- ✓ العلاقة بين الوالدين والأبناء.
- ✓ العلاقة بين الأبناء بعضهم ببعض.

ب. العلاقات الأسرية الخارجية:

وتشمل علاقة أفراد الأسرة ببقية الأقارب عن طريق الدم أو المصاهرة، ويعرفها أحمد أبو زيد على أنها العلاقات المباشرة التي تنشأ بين شخصين ينحدر أحدهما من الآخر، مثل العلاقة بين الحفيد والجد، أو نتيجة انحدرهما من سلف واحد مشترك كالعلاقات بين أبناء العمومة.

2. مفهوم الإعلام الجديد

بحسب ليستر (Lester): الإعلام الجديد باختصار هو مجموعة تكنولوجيات الاتصال التي تولدت من التزاوج بين الكمبيوتر والوسائل التقليدية للإعلام، الطباعة والتصوير الفوتوغرافي والصوت والفيديو⁽⁵⁾.

الإعلام الجديد New Media أو الإعلام الرقمي Digital Media

هو مصطلح يضم كافة تقنيات الاتصال والمعلومات الرقمية التي جعلت من الممكن إنتاج ونشر واستهلاك وتبادل المعلومات التي نريدها في الوقت الذي نريده وبالشكل الذي نريده من خلال الأجهزة الالكترونية (الوسائط) المتصلة أو غير المتصلة بالإنترنت، والتفاعل مع المستخدمين الآخرين كائناً من كانوا وأينما كانوا.

فهناك تعريفات أخرى مختلفة منها تعريف مجلة بي سي للإعلام الجديد بأنه: "أشكال التواصل في العالم الرقمي والتي تضمن النشر على الأقراص المدججة وأقراص الدي في دي وبشكل أكثر أهمية على شبكة الإنترنت⁽⁶⁾."

وعليه، يتميز الإعلام الجديد عن القديم بخاصية الحوار بين الطرفين، صاحب الرسالة ومستقبلها، ومع ذلك فإن الفواصل بين الإعلام الجديد والقديم ذابت، لأن القديم نفسه أعيد تكوينه وتحسينه ومراجعته ليلتقي مع الجديد في بعض جوانبه⁽⁷⁾.

ويتميز الإعلام الجديد أيضاً بأنه إعلام متعدد الوسائط وهذا يعني أن المعلومات يتم عرضها في شكل مزيج من النص والصورة والفيديو، مما يجعل المعلومة أكثر قوة وتأثيراً، هذه المعلومات هي معلومات رقمية يتم إعدادها وتخزينها وتعديلها ونقلها بشكل إلكتروني.

يتميز الإعلام الجديد أيضاً بتنوع وسائله وسهولة استخدامها، وهذه الخصائص غيرت من ثم من أنماط السلوك الخاصة بوسائل الاتصال⁽⁸⁾.

وغني عن البيان أن الإعلام الرقمي ثري بأشكاله، متنوع بطروحاته ومن ضمن الأشكال المعروفة التي يتضمنها هذا الضرب من الإعلام نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- ✓ مواقع التواصل الاجتماعي.
- ✓ المواقع الإعلامية على شبكة الانترنت.
- ✓ الصحافة الالكترونية: خدمات النشر الصحفي عبر مواقع على الشبكة، وحزم النشر الصحفي.

✓ الإذاعة الالكترونية والتلفزيون الالكتروني: خدمات البث الحي للإذاعات والقنوات التلفزيونية على مواقع خاصة على الشبكة ومن خلال "حزم البث الإذاعي والتلفزيوني" والتي تحملها الشبكة إلى المتلقي مباشرة وإلى مختلف المواقع.

✓ المدونات.

✓ الإعلانات الالكترونية: خدمات النشر الإعلاني عبر مختلف المواقع على الشبكة.

✓ خدمات إعلامية إلكترونية متنوعة: تواصلية ومعرفية وترفيهية.

✓ خدمات الأرشيف الالكتروني.

2. بنية العلاقات الاجتماعية (الأسرية بالتحديد) وتطور تقنيات الإنترنت

حظي الاتصال الوسيط، أي الاتصال الذي يستخدم الوسائط التكنولوجية، بعناية العاملين في مجال العلوم الاجتماعية منذ بداية ظهوره في القرن الماضي، وفي هذا الصدد، رأى فيه علماء الاجتماع الدوركامي، ولا سيما الهاتف "التلفون"، شكلا من أشكال التكنولوجيا التي تعمل على التضامن العضوي بين أفراد المجتمع. كما وجدوا في الوقت نفسه في شكل آخر من أشكال هذه التكنولوجيا (الاتصال الإذاعي والتلفزيوني) قوة كبيرة في إيجاد حالة من التوازن والتضامن بين أفراد المجتمع عن طريق ما تحدثه بينهم من تصورا جمعية مشتركة.

وأما علماء الاجتماع الماركسي فإنهم يؤكدون أهمية هذه الوسائط الاتصالية بوصفها إحدى أهم الوسائط التي تلجأ إليها الطبقات الحاكمة في مجتمع ما من المجتمعات من أجل فرض سيطرتها وبسط نفوذها وهيمنتها الإيديولوجية على بقية الطبقات الأخرى في المجتمع بصورة دائمة⁽⁹⁾.

و أما علماء الاجتماع الفيبري فإنهم يرون في هذه الوسائط أداة فاعلة في دعم العقلانية التي هي برأيهم السبب الرئيس في التغير الاجتماعي في المجتمعات الرأسمالية الغربية، إذ تعمل هذه الوسائط، برأيهم، على تخفيف القيود التي يفرضها الزمان والمكان على الأطراف المتصلة حين تتواصل فيما بينها، وتختصر الكثير من جهودهم وعنائهم، وبذا، فإنها

تسهم في انتشار العقلانية التي يعتقد فيبر، كما أشرنا، أنها قوام النظام الرأسمالي في المجتمعات الرأسمالية.

ويرى الفيبريون، أن هذا النوع من الوسائط، ولا سيما الإذاعي والتلفزيوني، إنما تعمل على تزويد المجتمع بعناصر الثقافة الرفيعة⁽¹⁰⁾.

ولكن التطور المتسارع في تكنولوجيا الاتصال الوسيط، وانتشاره في مناحي الحياة كافة بشكل غير مسبوق، كان قد دفع العديد من الباحثين الاجتماعيين إلى إيلاء هذه الوسائط مزيداً من الاهتمام، ودعاهم إلى إعادة النظر في فهمهم لأبعادها الاجتماعية وتأثيراتها في الاتصال الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية. فقد ضعتهم هذه التكنولوجيا أمام مرحلة جديدة من مراحل تطور الاتصال الاجتماعي، لها أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية المختلفة التي لا يمكن تجاهلها أو إدارة الظهور لتأثيراتها السلبية.

فقد غيرت هذه المرحلة، في الحقيقة، مجرى الحياة في الجوانب الثقافية والأخلاقية والفكرية والقيمية والسلوكية والاقتصادية، وغيرت كذلك طرائق تفاعل الناس وتواصلهم إلى الحد الذي يمكن معه القول: أن ما أحدثته هذا النوع من الاتصال من تغييرات جوهرية كان بمنزلة نقطة تحول في تاريخ الاتصال الاجتماعي. وهكذا، إذن، دفعت تكنولوجيا الاتصال الإلكتروني الحديثة الكثير من الباحثين الاجتماعيين إلى إيلائها من الاهتمام والعناية.

ويمكن القول: إن المحاولات الأولية لفهم ما أحدثته هذه الوسائط الاتصالية من تغييرات وتأثيرات في حياة الناس وطرائق تواصلهم وتفاعلهم، كانت قد بدأت في الستينات والسبعينات على يد مارشال ماكلوهان، ودانييل بيل، واستمرت في الثمانينيات على يد دوفلور، وهيرماس وتعمقت في السنوات اللاحقة على يد بعض العاملين في العلوم الاجتماعية ولا سيما "انتوني جيدنز"، و"جون ثومبسون"، و"مانويل كاستلز"، وزججت باومان، وجيمس سليفن.

فقد كان "بيل"، في الحقيقة، من أوائل علماء الاجتماع الذين خصصوا وقتاً كافياً لتحليل الدور الذي يقوم به هذا النوع من الاتصالات في تسريع عملية التغيير الاجتماعي تسهيل التواصل بين الأفراد في المجتمع، فضلاً عن جهوده في تحليل التأثيرات الاجتماعية التي تتركها هذه الاتصالات، ولا سيما الرقمية منها، في المجتمع، وأما في الثمانينات فيعد

هابرماس من أشهر علماء الاجتماع الذين أسهموا في تقديم تحليل دقيق لهذا النوع من الاتصالات ودورها في التغيير الاجتماعي وذلك من خلال عمله الرائد في هذا المجال. وهو المجال العام⁽¹¹⁾.

وأما "مانويل كاستلز" فقد كان من بين أوائل العلماء في التسعينات ممن شدّد على أهمية هذا النوع من الاتصالات في جوانب الحياة الاجتماعية جميعها، وعلى الدور الفاعل الذي قامت به، وما زالت، في حياة الناس الاجتماعية، مدخلة المجتمعات المعاصرة إلى عهد جديد هو "عصر المعلومات"، حيث غدت هذه الاتصالات بأشكالها المختلفة، ولا سيما الانترنت تغلغل في كل منحي من مناحي الحياة اليومية. وترجع أعمال كاستلز، في الواقع، إلى تأكيد الدور البارز والحيوي الذي تقوم به الانترنت في المجتمعات المعاصرة، إذ يرى أن الميزات الفريدة لهذه الوسيلة الاتصالية تجعل منه أعظم منجزات الثورة التكنولوجية في عالم الاتصال الاجتماعي⁽¹²⁾.

وبنظرة تحليلية مدققة، نجد أن الإنترنت لم تعد مجرد شبكة عالمية أو مخزن هائل أو أداة استثنائية للتبادل السريع للمعلومات، بل أصبحت تؤدي اليوم مهاماً استثنائية ذات منعكسات سياسية وإعلامية واقتصادية وثقافية وعلمية واجتماعية، كما تدور حولها - أي الإنترنت - حوارات معمقة في جميع أنحاء العالم. ولكن رغم أهمية الإنترنت التي لا ينكرها أحد، تتعارض الآراء حول منعكسات استخدامها أحيانا إلى حد التناقض الكلي، فبرأها البعض نعمة فريدة وأفضل تطور تقني في عصرنا، ويدافعون عن أهمية منعكساتها الإيجابية، في حين يري فريق آخر في منعكساتها السلبية مخاطر جمة لا حصر لها يتحتم رصدها والتعامل معها⁽¹³⁾.

وتذهب "فرانسيس كيرنكروس"، في كتابها الموسوم "موت المسافات" في الاتجاه السابق نفسه لتؤكد أن الأبعاد الجديدة للاتصال عبر الانترنت هي أبعاد مختلفة في أنساقها وبنيتها وخصائصها عن الأبعاد التقليدية المتوقعة على ذاتها. فليست إزالة الحدود الجغرافية بين البشر، هي الانجاز الذي يجب أن ندين به لهذه الوسيلة الاتصالية الالكترونية فقط، بل إن الإنجاز الأعظم لها هو ذاك الذي حققته على المستوى الثقافي والاجتماعي. فقد أنهت

الإنترنت، برأيها، الفروق الثقافية والاجتماعية بين البشر ووحدهم في ثقافة ذات خصائص جديدة تختلف اختلافا جوهريا عما قبلها من خصائص.

ويبدو رأيها هذا موافقا لأراء كل من "تومبسون" و"ديماجيو" و"كروات" و"زابوف" و"ستول" في هذا النوع من الاتصال وما أوجده من تغييرات جذرية في حياة الناس، ولكنهم يختلفون معها في تقييمهم لهذه التغيرات. فهم يرون أنها تغييرات عملت على تفتيت العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وحولت ما كانت تتمتع به من دفء وحميمية إلى برود وفتور، وغيّرت أنماط تفاعلهم الاجتماعي، وفتحت أمامهم مسار سلوكية أضرت بقيمتهم وأخلاقهم، فضلا عما أوجدته بينهم من مشكلات جديدة غير مألوفة من قبل، كتبدل حسهم الاجتماعي والوجداني، واغترابهم النفسي، وعزلتهم الاجتماعية، وانتشار قيم الاستهلاك بينهم، فضلا عن العوالم الافتراضية المتخيلة التي أوجدتها ليعيشوا فيها كعوالم بديلة عن عوالمهم الحقيقية، علاوة على مساهمتها في انتشار نوع جديد من الإدمان بين مستخدمي هذه الوسائط الاتصالية غير مألوف الخصائص والصفات والأعراض لدى المهتمين بالمشكلات الاجتماعية، أطلقوا عليه "إدمان الإنترنت" (14).

وعليه فقد ازداد الاهتمام بدراسة إدمان الإنترنت كظاهرة مجتمعية انتشرت بين الأفراد في المجتمعات المختلفة، وربما يرجع ذلك إلى ما لهذه الظاهرة من آثار متعددة نفسية واجتماعية وصحية تؤثر على الأشخاص المستخدمين لهذه الشبكة. فمع استمرار قضاء مستخدمي الإنترنت المزيد من الوقت على الخط المباشر من الطبيعي أنهم يخصصون وقتاً أقل للنشاطات الأخرى والأشخاص الآخرين في حياتهم (15).

وفي الحقيقة، فإن التطور المذهل في تكنولوجيا الاتصال الالكتروني، الذي يكاد يفوق الوصف والخيال، جعل العالم الذي نعيش فيه في الوقت الحاضر يفلت منا كما تفلت حفنة الماء من قبضة اليد، ويهرب أمام ناظرنا كما يهرب الخيال، نراه ولكننا لا نقوى على الإمساك به. ولعل عالم الاجتماع المعاصر، انطوني جیدنز، على صواب حين وصف هذا العالم "بالعالم الهارب" (16).

وفي هذا الصدد يذكر "فريزر ودوتا" أن "شبكات التواصل الاجتماعي على الإنترنت أصبحت ظاهرة عالمية واسعة الانتشار بصورة لا تصدق؛ فالمواقع التي من قبيل

ماي سبيس (MySpace) وفيس بوك (Facebook) وهاي فايف (hi5) وأوركوت (Orkut) وفريندستر (Friendster) يعد أعضاؤها الآن بمئات الملايين في جميع أنحاء العالم، كما أن ثورة الجيل الثاني من الإنترنت وصلت الآن إلى مرحلة الانقلاب الاجتماعي، ويتم اعتناقها بحماسة من قبل الشباب في الشرق الأوسط. أما عن الحوافز التي تدفع الناس للاشتراك في مواقع الشبكات الاجتماعية فهي أسباب متعددة ومعقدة، يمكن تقسيمها على نحو من التبسيط المفرط، إلى فئتين واسعتين: الحوافز المهنية والحوافز الاجتماعية؛ فالمهنيون الذين يشتركون بمواقع مثل لينكد إن LinkedIn يفعلون ذلك بالدرجة الأولى بناء على حسابات عقلية مرتبطة باهتماماتهم الخاصة بحياتهم المهنية، في حين أن معظم المراهقين الذي يجمعون "الأصدقاء" على موقع ماي سبيس لا يسعون لتحسين آفاق حياتهم المهنية؛ حيث يكمن الحافز الرئيس وراء تفاعلهم الاجتماعي في حاجتهم الغريزية غير العقلانية لعقد روابط اجتماعية تقوم على القيم والمعتقدات والأحاسيس المشتركة وما إلى ذلك⁽¹⁷⁾.

وترى الأدبيات الحديثة في النظرية الاجتماعية أن الاتصال عبر الإنترنت نقلنا إلى العيش في زمن ثقافي من نوع خاص، قام "انطوني جيندز" بتلخيص خصائصه الاجتماعية وسماته الثقافية ببراعة فائقة، وإيجاز دقيق، بما يأتي⁽¹⁸⁾:

✓ إن التحولات والتغيرات الاجتماعية والثقافية التي يتصف بها المجتمع المعاصر هي تحولات ذات قوة نابذة وطاردة للأفراد، وذات خصائص ثقافية مشوشة ومضطربة.

✓ إن الأفراد في المجتمعات التي ينتشر فيها هذا النوع من الاتصالات، هم أفراد مقطعو الأوصال، بسبب استغراقهم وذوبانهم في خبرات يومية مجزأة ومبعثرة، وتعوزهم الرؤية الشمولية المتماسكة للحياة.

✓ يشعر الأفراد في هذا النوع من المجتمعات بالعجز وضعف المقاومة وقلة الحيلة في مواجهة العولة وطغيانها وجبروتها.

✓ تخلو حياة الأفراد اليومية في هذه المجتمعات من أي معنى، بسبب سيادة أنظمة اجتماعية جافة تفتقر إلى الحياة والديناميكية وتعمل على تفرغ حياة الأفراد اليومية من مغزاها ودلالاتها الاجتماعية الحميمة.

وفي الحقيقة، قد لا تكون الأبعاد الاجتماعية للاتصال الإلكتروني والتأثيرات السلبية التي أحدثها في المجتمع الغربي، موجودة في المجتمع العربي بتلك الحدة التي وصفها جيدنز والباحثون الاجتماعيون الآخرون. ومع ذلك فهذا لا يعني أن المجتمع العربي في مأمن منها ومن تأثيراتها السلبية.

3. العلاقات الأسرية وأدوات الإعلام الجديد: تحليل سوسيولوجي

بتركيز نطاق البحث والتحليل علي ماهية العلاقات الأسرية في ظل أدوات الإعلام الجديد، وما قد تتضمنه من مخاطر مستترة، يمكن القول بأن ثمة نقاشات محدمة في الآونة الأخيرة حول الدور الخطير الذي تمارسه الإنترنت في عزل الأفراد اجتماعياً وتفكيك العلاقات بين الأفراد في المجتمع، فالأفراد أصبحوا يقضون وقتاً طويلاً في التعامل مع الكمبيوتر والإنترنت بطريقة لافتة تسترعي الاهتمام، بما ينطوي عليه ذلك في كثير من الأحيان من حاجة إلى العزلة عن الآخرين خلال فترة الاستخدام، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى إشاعة حالة من العزلة الاجتماعية، وبالتالي إيجاد نوع من التفكك الاجتماعي، خاصة في ظل انتشار أنماط جديدة من القيم والسلوكيات المستحدثة في المجتمع العربي كله.

وهذا ما توصل إليه كل من (ألن، وزيزي) (2000) (Alan and zizi) في دراستهما حول الدوافع وراء استخدام الأفراد للإنترنت إلى أن الدوافع الشخصية التي يسعى الأفراد لتحقيقها من خلال الإنترنت قد يقابلها انخفاض في تفاعلاتهم الاجتماعية الأولية تجاه الأسرة والأقارب.

في حين توصلت دراسة أخرى سنة (2004) إلى أن الإنترنت يولد اقتناعاً بالقيم والأفكار الغربية ويؤثر سلباً على العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة، والمعتقدات الدينية⁽¹⁹⁾. وقد توصلت دراسة عمارة (2005) حول استخدام الشباب لشبكة الإنترنت وعلاقته بالتفاعل الاجتماعي، إلى أن معظم أفراد العينة يستخدم الإنترنت لتبادل البريد

الالكتروني والدردشة)، أكثر من الاستخدامات الأخرى، كما أكدت الدراسة على أن الأفراد الأكثر استخداما للانترنت هم الأكثر شعورا بالعزلة الاجتماعية.

في حين توصلت الباحثة أبو اليزيد (2008) في دراستها حول الآثار النفسية والاجتماعية لتعرض الجمهور لشبكة الانترنت، إلى أن استخدام الانترنت يؤدي إلى شعور بالقلق العام بسبب تأثر هؤلاء الأفراد بإدمان الانترنت، ويختفي هذا الشعور عندما لا يعنون من الإدمان للشبكة، أي أن إدمان الشبكة حال دون شعورهم بالاكتئاب عندما يزداد استخدامهم لها، كما أن استخدام الانترنت لا يؤثر على تفاعل الأفراد مع أسرهم، إذا لم يكن لديهم إدمان للشبكة⁽²⁰⁾.

وعليه، فشبكات التواصل الاجتماعي مثلاً تسمح للمستخدمين بالتفاعل مع الأصدقاء عبر المدونات والألعاب وتبادل الصور، ويقول الخبراء في هذا المجال إن الأساس هو الحفاظ على حداثة المحتوى ومهارات الابتكار في المنتج. هذا وقد أوضح علماء نفس ألمان أن استخدام شبكات التواصل عبر الانترنت يجعل المستخدم أكثر انفتاحاً وصراحة، وقالت (زايينه تريته) في دراستها التي أجرتها بالتعاون مع زميلها (ليونارد راينكه) بكلية هامبورغ ميديا) وأعلنت عنها في المؤتمر الأوروبي للتواصل (هامبورغ) إن من يذكر الكثير من بياناته الشخصية على أحد مواقع التواصل الاجتماعي مثل موقع (فيس بوك) تصبح لديه بعد عام قدرة نفسية أكبر على المصارحة الذاتية، وأوضحت أن استعداداً أكبر للبوح بالمزيد من المعلومات الشخصية يتكون لدى هؤلاء الأشخاص مع مرور الوقت، مضيفة أي أنهم يتغيرون فيما يتعلق بمدى الاستعداد بالبوح بالمعلومات عن أنفسهم عبر الانترنت، كما تؤكد الدراسة أن الأشخاص الذين يدلون بالمزيد من المعلومات عن أنفسهم في صفحات التواصل الاجتماعي يجمعون أصدقاء أكثر خلال نصف عام، غير أنه تبين أن هذه الصداقات قلما تكون منها صداقات حميمة.

وعليه فإن الإفراط في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي قد يؤثر على العلاقات داخل الأسرة والمجتمع وبخاصة العلاقات الزوجية؛ وتفسير ذلك أن مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت بعامة هي المكان الذي يستطيع فيه الإنسان العربي أن يتحدث مع نفسه ومع غيره بصراحة ليقول مالا يستطيع قوله في الاتصال المباشر، أما خطورة ذلك

فتمثل في أن العلاقات الزوجية تواجه فتوراً شديداً؛ وذلك بسبب توجه الزوج - مثلاً - نحو غرف المحادثة وتفضيلها على الجلوس مع زوجته، والتحدث إليها مباشرة.

والغريب حقاً أن الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي قد تسبب في حدوث حالات من الطلاق من نوع جديد يعرف باسم **الطلاق العاطفي** وهذا النوع من الطلاق يحدث عندما يجلس الرجل على شبكة الإنترنت، ويرد بإسهاب على الرسائل الإلكترونية ما يؤدي في النهاية إلى حال من الإدمان الإلكتروني، وعدم الرغبة في التحدث إلى الزوجة؛ الأمر الذي يقود لا محالة إلى الانفصال العاطفي بين الزوجين.

ومما يؤكد هذا الطرح، الجدل الذي بات يثار حالياً عن التأثير السلبي لمواقع التواصل الاجتماعي على العلاقة بين الزوجين داخل الأسرة العربية، وذلك بسبب هروب الأزواج والزوجات وخصوصاً في أثناء حدوث خلافات بينهما، إلى البحث عن نوع جديد من العلاقات عبر شبكة الإنترنت، وهذه العلاقات هي أشبه بضربة الحظ، والتي قد تخرج بعلاقة جديدة ومفيدة على المستوى الاجتماعي، أو بخسارة فادحة عندما يتم الاصطدام بأولئك الذين يبحثون عن العلاقات غير الشرعية على شبكة الإنترنت، وبالتالي إمكان حدوث ما لا تحمد عقباه.

بل إن بعض الدراسات باتت تؤكد علي أن الوسائط الإلكترونية الحديثة ذات تأثير سلبي كبير حتى فيما يخص العلاقات الحميمة بين الزوجين ما يؤدي إلى نوع من الجفاف، وتبلد المشاعر وبالتالي إلى زيادة المشكلات وتفكك أواصر العلاقة الزوجية، لاسيما إذا ما وضعنا في الاعتبار أن نسبة كبيرة من الأزواج قد يفقدوا الرغبة في التواصل مع زوجاتهم بعد أن انبهروا بنماذج من النساء عبر مواقع الدردشة الإلكترونية، واعتيادهم علي نموذج الإثارة الإلكترونية التي تقدمها مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها عبر الإنترنت، والتي صنعت خصيصاً للترفيه وإشباع هوايات عبر عالم افتراضي بالنسبة للشخص ذاته.

أما علاقات الآباء بالأبناء، فقد أصبحت المقولة القائلة: إن الإنسان اجتماعي بطبعه تتراجع وبدأت في الاضمحلال فلا بأس أن نقول اليوم أن الإنسان تكنولوجي بطبعه، إذ أصبح ينبهر وينجذب لأحدث و أذكى وسائل التحوار وافتقارها إلى التغذية الراجعة وتبادل الأفكار والمشاعر، فأصبح الاتصال يقتصر على الجمل القصيرة بين أفراد

الأسرة الواحدة التي تقتضيها الضرورة، فعوض أن يتحاور المراهق مع أمه أو أبيه على رغباته أو مشكلاته الدراسية والعاطفية، فانه يفضل التوجه والانخراط في عالم "الشات" (Chat) لساعات عديدة وكان البحث عن الحلول لمشاكله في العالم الافتراضي لأفضل من البحث في العالم الواقعي.

إن امتلاك الطفل لوسائل التكنولوجيا بما فيها الشبكة العنكبوتية "الانترنت" التي يقضي الطفل خاصة المراهق ساعات أمام جهاز الكمبيوتر، وبمرور الزمن يكون هذا المراهق مدمنا عليها، مما يعرضه للإدمان على هذه الشبكة لأن هذه الأخيرة لا تمارس عليه سلطة تعسفية، أو بالعكس نجده يدخل في مواقع سهلة الممارسة، وهذا ما يجعله يترك الحياة الاجتماعية الطبيعية، ونتيجة قضاء ساعات طويلة أمام الشبكة العنكبوتية، فسندج الطفل أو المراهق لا يختلط بأسرته وأقاربه ولا يعاشرهم، وسيصبح منعزلا على الانعزال الاجتماعي، على الرغم من أنه كان يجب العشرة والمعاشرة الاجتماعية قبل الإدمان.

وعند فقدان الطفل لحياته الاجتماعية الطبيعية، يتوجب عليه البحث عن الحياة أخرى بديلة، مما يجعله يصنع لنفسه عالما آخر، وهو عالم افتراضي يوجد لنفسه أصدقاء افتراضيين من كل أرجاء العالم، والمراهقين لأوقات غير محدودة أمام أجهزة التواصل، ويستفيدون من تكنولوجيا التواصل والمعلومات وفي المقابل فإن هذه الساعات تعني العزلة الاجتماعية عن الأسرة، وتعني الخمول الجسماني، وتعني الضغط والتوتر النفسي، فضلا عن التأثيرات السلبية عليهم نتيجة الدخول إلى المواقع اللااخلاقية.

ولكن ذلك لا يعني إدانة الحاسوب بشكل مطلق وإنما هي دعوة إلى ترشيد استعماله وعدم المبالغة في استعماله بشكل يمثل خطراً على أمننا وسلامتنا النفسي في المدى البعيد.

خاتمة

يقتضي التحليل الموضوعي القول بأن أدوات الإعلام الجديد هي عبارة عن تغيرات حتمية لا بد منها، لأنها ليست ثورة قاصرة على منطقة معينة أو مجتمع خاص أو حقبة زمنية، إنما هو تحول عالمي، ورغم إيجابياتها فإن لها الكثير من السلبيات على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، تلك السلبيات لا يمكن التخلص منها بالانغلاق على النفس، بل من خلال تفاعل حقيقي وفعال يحقق الفائدة من هذه الثورة ومحاولة التغلب على تلك السلبيات. فالقضية أولاً وأخيراً لا تتعلق بالأداة التي بين أيدينا ولكن بمن يستخدم الأداة وكيف يستخدمها.

ستظل العلاقات الاجتماعية الإنسانية وبالتحديد العلاقات الأسرية- في الإجمال- منافساً قوياً للعلاقات الاجتماعية الالكترونية في المجتمعات المسلمة، نظراً لارتباط العلاقات الاجتماعية بموروثات فكرية وثقافية وإنسانية واجتماعية واقتصادية وسياسية لها طابعها الخاص ومكوناتها ذات الطبيعة الخاصة، كما أن لها عمرها الكبير الذي قد يبلغ عدة قرون في بعض الأحيان، والذي يصعب تغييره في عشرات السنين هو كل عمر الثورة التكنولوجية.

هوامش البحث

- (1) عماد عادل أبو مغلي(2009): العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم، دار الكندي، للنشر والتوزيع، الأردن، ص ص30 - 31.
- (2) موسى عبد الفتاح تركي(دون سنة): البناء الاجتماعي للأسرة، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، ص 65.
- (3) سميحة كرم توفيق(1996): مدخل إلى العلاقات الأسرية، مكتبة الإنجلو المصرية، ص 14.
- (4) موسى عبد الفتاح تركي(دون سنة): البناء الاجتماعي للأسرة، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، ص 101.
- (5) Dr.paul Martin Lester, California State University, <http://commfaculty.fullerton.edu/lester/curriculum/newmedia.html>/Accessed/july.2006.
- (6) www.pcmag.com.
- (7) Steve Jones, Encyclopedia of New Media :An Essential Reference to Communication and Technology.SAGE Publication .2002.
- (8) عبد الحسيب، محمد تيمور، وعلم الدين، محمود(دون سنة): الكومبيوترات وتكنولوجيا الاتصال، القاهرة، دار الشروق، ص ص 195-207.
- (9) حلمي خضر ساري(2008):تأثير الاتصال عبر الانترنت في العلاقات الاجتماعية(دراسة ميدانية في المجتمع القطري)، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، العدد الأول+الثاني، ص302.

(10) المرجع السابق، ص 303.

(11) المرجع السابق، ص 304.

(12) المرجع السابق، ص 305.

(13) بشار عباس (2009): العرب والإنترنت: الجوانب الاجتماعية والاقتصادية،

[http:// www.zpu.edu.jo](http://www.zpu.edu.jo)

(14) حلمي خضر ساري: مرجع سبق ذكره، ص ص 306-307.

(15) ابراهيم إسماعيل عبده: العلاقات الاجتماعية عبر الإنترنت،

<http://www.asbar.com/ar/monthly-issues/779.article.htm>

(16) حلمي خضر ساري: مرجع سبق ذكره، ص ص 307-308.

(17) ابراهيم إسماعيل عبده، مرجع سبق ذكره.

(18) حلمي خضر ساري: مرجع سبق ذكره، ص 308.

(19) زهير عابد (2012): دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعبئة الرأي العام

الفلسطيني نحو التغيير الاجتماعي والسياسي دراسة وصفية تحليلية، مجلة

جامعة النجاح لأبحاث، العلوم الإنسانية، مجلد 26(6)، 12. ص ص 1390-

1391.

(20) المرجع السابق، ص 1389.